«الكنيسة الخادمة في زمنِ المِحَن»

تقرير يكتُبه: **چورج إسحق**
مِعمَاريٌّ وباحثٌ غير مُتفرغ في التُراثِ العَربيِّ المَسيحيِّ

في إطار نشاطها للتواصل مع الشعب الإنجيليّ في مِصر، نَظَّمَت الطائفة الإنجيليّة بمِصر يوم الثلاثاء الموافق الخامس عشر من شهر ديسمبر الماضي، برئاسة الدكتور القسّ أندريه زكي، لقاءً روحيًّا تفاعُليًّا عَبرَ وسيط التواصل الإلكترونيّ ZOOM، وصفحة رئاسة الطائفة بموقع التواصل الاجتماعيّ Facebook، بعنوان «الكَنيسَةُ الخَادمَةُ في زَمَنِ المِحَن» وذلك بمُشاركة الدكتور القسّ. كريستوفر رايت Christopher J. H. Wright رئيس مؤسسة لانجهام الدوليّة، وأستاذ الدراسات الكتابيّة، وأخلاقيات العَهد القديم في عدد من الجامعَات الدَوليّة، والأكاديميات اللاهوتيّة، وبحضور أكثر مِن مِئَتيّ مُشاركٍ من القيادَات، والخُدَّام، والرُعاة من مُختَلَفِ المُحافظات.

أُستُهِل اللقاء بصلاة القسّ أمجد محفوظ، رئيس مَجمَع الكنائس الخمسينيّة بمصر، تلتها كلمة افتتاحيّة للدكتور القسّ **أندريه زكي** رئيس الطائفة الإنجيليّة، والهيئة القبطيّة الإنجيليّة للخدمات الاجتماعية بمصر، رحب فيها بالحضور والضيف الكريم، ذكر فيها أنَّ رايت قد زار القاهرة عدة مرات سابقة، كما تُرجِمَت العديد من كتاباته إلى العَربيّة، ما كان له أثر بالغ على الكنيسة العَربيّة، حيث يُعتبر رايت أحد المُقربين للاهوتيّ الكبير جون ستوت. عَبَّرَ زكي عند دهشته للمُفارقة العجيبة إذ قد تكون لهذه الجائحة فوائد كمضارها! إذ أوحت لنا بإمكانيّة أن تشترك الكنيسة وتتواصل عن بُعد باستخدام العديد من الوسائط غير التقليديّة؛ وطلب زكي في نهاية كلمته من الحضور الصلاة لأجل قرارات الطائفة، ورؤساء المذاهب الإنجيليّة بمصر في المرحلة الدقيقة القادمة.

في بداية حديثه عَبَّرَ رايت عن سعادته أن يكون مُشاركًا في هذا اللقاء، ثم استطرد في الحيث عن موضوع اللقاء، الكنيسة في زمن المِحَن قائلًا: «أنا على يقين من أن أصعب ما مر بالكثيرين مِنَّا في وقت الحظر، هو كوننا

مُبعَدينَ عن شركة العِبادة في بيت الله. ربما لا أعلم الكثير عن الوضع في مصر الآن، لكن ما أعرفه أن دور العِبادة قد اضطُرت للإغلاق كسائر الدول، وتحولَّت العبادة لتَجِد مكانًا لها للشركة عبر الفضاء الإلكترونيّ، لكنه بَقي بديلًا لا يُغني عن الأصل! لكن دعوني أسألكم ماذا لو تدمَّرت الكنائس تمامًا، ولم يَعُد بإمكاننا العودة للعبادة بها؟ هذا تمامًا ما حدث في العهد القديم مع شعب إسرائيل، قبل ستمئة عام من ميلاد المسيح، فيما عُرف بالسبي البابليّ؛ حيثُ دُمِّرَ كل شيء، وسيق الشعب إلى أرض لم يتوقعوا يومًا أن يضطروا للعيش بها. كان هذا هو الحظر بمفهومه الأوسع. وتساءل الكثيرون آنذاك: هل سنتمكن من العودة لعِبادة الرّبّ ثانيّة؟! وجاء جواب الرّبّ وقتها على لسان نبيه إرميا، والمدوَّن في الأصحاح التاسع والعشرين. قدم إرمياء للشعب المُحبَط وقتها ثلاثة أشياء، وهي: نظرة جديدةً، تحديًا جديدًا، وأملًا جديدًا.»

نظرة جديدة:

وضَّح رايت كيف أنه في نظرة جديدة أراد الله للشعب أن يروا الواقع من جانب اللَّه صاحبَ السيادة والسُّلطان. ففي العدد الأول والأعداد من الرابع إلى السادس يُمكننا أن نُميز الفارق بين كلام الراوي وكلام الله، فبينما يُقر الراوي السبي لنبوخذ نصَّر، يؤكد الله أن السبي هو سبيه هو! وهنا تبدو الإجابة البديهيّة عن مَن المسؤول عن هذا السبي وهي كلاهما. فالناظر للأمر آنذاك يمكنه أن يرى بوضوح جيوش نبوخذ نصَّر وهي تقتل وتحرق وتدمر كل شيءٍ، هذا ما حدث وقتها، بل وما يحدث في وقتنا هذا أيضًا. لكن ومن منظور آخر يمكننا أن نرى كيف رأى إرميا يد الله خلف جيوش نبوخذ نصَّر، كيف أدرك أن الله مازال هو المُتسلِّط والسيد في هذا الحدث، الذي حذَّر إرميا منه الشعب لسنين طويلة سابقة. المُفارقة بين العدد الأول والرابع، تُظهر لنا يد الله القويّة وراء هذا الحدث البشريّ التاريخيّ.

وانتقل رايت من خلال الرواية السابقة لسؤال يُلامس واقعنا اليوم، إذا تساءل رايت قائلًا: «ونحن اليوم كيف نرى جائحة وباء كورونا؟ أهي مُجرد كارثة طبيعيّة، أم أنَّ يد الله القديرة خلف الأحداث؟» وأكد رايت أن قناعته وإيمانه الشخصيّ هو أيضًا أن المسؤول كِلاهُما؛ فبالرغم من أنَّ الكثيرين يرفضون ربط هذا الأمر بالله، زاعمين أنه مادام الأمر شرًّا فحتمًا هو من الشيطان، ومع إقرارنا بقدرة الشيطان على تعظيم الألم والإيذاء للبشر في مثل هذه الأحداث، إلّا أنه لا يجب أن يغيب عن نظرنا دائمًا أن كل ما يصنعه الشيطان، إنما يصنعه تحت سُلطة الله وبإذنه.

واستطرد شارحًا أنَّ الڤيروسات ما هي إلا جزءًا من خليقة الله الكاملة، وهي ليست شرًّا في ذاتها، بل في الحقيقة أن عُلماء الأحياء يخبروننا أن قُرابة تسعين بالمئة من الڤيروسات ليست غير ضارة فحسب، لكنها مُفيدة أيضًا! كما أنَّ الڤيروسات الضارة تحيا في الحيوانات، وفي بدء الخليقة ما كانت هذه المخلوقات -الڤيروسات- تزعج البشر على الإطلاق أو تضرهم، لكن مُؤخرًا بدء الضرر يظهر كنتيجة لانتهاك الإنسان لطبيعة الحياة البريّة، والتعدي على الغابات، وتلويث البيئة، والإتجار غير المشروع في الحيوانات البريّة، وخلال هذا تعلمنا ما هو عقاب انتهاك قوانين الله للطبيعة! وهو ما حذرتنا منه كثيرًا كلمة الله.

واستدرك رايت مؤكدًا أن كلامه هذا لا يجب أن يُفهم منه أن الله يُعاقب البشر الذين تأذوا من ڤيروس كورونا، فهذه زاوية خاطئة للنظر لله خلالها، وهذا ما يُظهره لنا سفر أيوب؛ فالألم لا يجب أن يُفهم على كونه عقابًا من اللَّه، لكن علينا أن نُدرك أن قضاء الله نافذٌ في كل التاريخ الإنسانيّ بسبب خطيتنا الجماعيّة. وشددَ رايت على أمر آخر وهو ما ذكره إرميا للمسبيين في بابل؛ إذ قال إنه إذاً كانَ الله هو صاحب السُّلطان، حتى في هذه الأحداث التي وقعت بسبب غباء الناس وعصيانهم، لكن الله مازال موجودًا ومُؤثرًا، يرافقكم في سبيكم كما كان في أورشليم، ولذلك فالحياة يجب أن تستمر حتى في هذه الظروف.

تحدٍّ جديد:

أوضح رايت أنه في هذه الخطوة يضع الله تحديًا جديدًا أمام الشعب، وهو أن يروا مسؤوليتهم في ضوء إرساليّة الله لهم. في العدد السابع يطلب الرّبّ منهم أن يُصلوا طالبين سلام المدينة التي هُم فيها، وهو أمر يصعُب فهمه في تلك الظروف! فكيف لأسير أن يطلب السلامة لقاهريه! لابد أن ثمة خطأ ما قد وقعَ أثناء نقل إرميا للرسالة؛ فبحسب المزمور المئة والعشرين المفروض أن نُصلي ونطلب لأجل سلامة أورشليم، لا لأجل بابل! أما بابل فالمزمور المئة والسابع والثلاثون يُخبرنا ما يجب أن نطلبه لها. آخر ما يمكن توقعه أن تأتي رسالة الله في ذلك الوقت، وتلك الظروف أن نُصلي لأجل سلامة بابل! لكن الله يُصر أن يُذكِّرهم بماهيتهم، فهُم شعب إبراهيم، بركة كل الأمم، كان هذا وعد الرّبّ لإبراهيم، وهذه هي مسؤوليتكم ودعوتكم؛ فابدأوا من تلك البُقعة التي أنتم فيها. دعوتكم أن تُباركوا كل الشعوب، حتى أعداءكم!

وعودةً للواقع قال رايت: «تعالوا ننظر لواقعنا وسط

كل هذه الآلام، والضرر المُحيط بنا وبأحبائنا.»، من الجيد والمُشجع أن كنائسًا كثيرة قد أظهرت تعاطفًا وتعاونًا مع المُحيطين بها من زيارات وتواصل لدعم المرضى وعائلاتهم، وتوفير الأغذية والأدوية، والخدمات الطبيّة. وإلى جانب الكنيسة، تشاركت كل المؤسسات الاجتماعية والدينيّة في تحمل تبعات هذه الجائحة، لأجل إظهار نعمة اللّه. فمن خلال رسالة إرميا يقدم اللّه لشعبه تحديًا جديدًا يذكرهم بماهيتهم، ومسؤوليتهم؛ وهي ذات الرسالة التي علينا أن نتذكرها من خلال كل نصوص العهد الجديد التي تضعنا أمام مسؤوليتنا في عمل الخير للجميع، لكوننا نتبع الرب يسوع المسيح؛ فهذا جزء من فهمنا لكوننا كنيسة الرب، ودلالة لكوننا كنيسة صحيحة خادمة، طائعة لوصايا المسيح المُباشرة: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ٥: ١٦)؛ وفعل الخير والإحسان في العالم الرومانيّ آنذاك كان يتعدى مجرد أن تكون مُسالمًا، إلى أن تكون صاحب إسهام عمليّ في خير وتقدم المجتمع.

وعقَّبَ رايت مُجْملاً حديثه في هذه النقطة: «أن نكون كنيسة صحيحة، يعني أن نكون كنيسة خادمة، تخدم المجتمع بكل السُّبل العمليّة، إضافة إلى المسؤولية الكُبرى في إعلان الخبر السار للجميع، والصلاة للرؤساء والقيادات، وأن نؤدي أعمالنا في كل مجال، وضرائبنا بأمانة تجاه مُجتمعنا. هذا هو التحدي الموضوع أمامنا. في هذا الوباء علينا أن نتذكر ماهيتنا كشعب الرب المدعو لحمل رسالته للعالم، وخدمة اللّه من خلال خدمة الآخرين، في كل زمان ومكان».

أمل جديد:

في هذه النقطة يُحدثنا رايت عن المستقبل في ضوء وعود اللّه. ففي الأعداد من الحادي عشر وحتى السابع عشر، وبالرغم من الإحباط وسواد الواقع، إلا أن رسالة اللّه تقول إن وقت بابل قادم، ليس سريعًا -كما زعم الأنبياء الكذبة- لكنه بعد زمان طويل (سبعون عامًا)؛ وهذا زمان ليس بقصير! وربما يكون واقعنا اليوم في هذا الوباء مُماثلًا، لكن الدرس الذي يعلمنا اللّه إياه أن هُناكَ أملًا ورجاءً. ويذكر رايت هنا أن العدد الحادي عشر هو واحد من أطيب الوعود في كلمة للّه لقلوب المؤمنين، إذا يقول اللّه: «لأَنِّي عَرَفْتُ الأَفْكَارَ **[الخطط]** الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ **[مُخططها]** بِهَا عَنْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ **[خطط]** سَلاَمٍ لاَ شَرٍّ، لأُعْطِيَكُمْ آخِرَةً **[مُستقبلًا]** وَرَجَاءً».

ويتساءل رايت مُجدّدًا: «هل تفكرّنا سابقًا -في خِضم فرحنا بهذا الوعد- في قرينته؟» فالمُفارقة التي يضعنا أمامها هذا الوعد هي قرينته التي جاء فيها من وسط حديث طويل عن قضاء اللّه المهيب القادم على هذا الشعب لأجل قساوته وعصيانه! ففي هذا السياق الصعب، جاء هذا الوعد ليُعلن أن نعمة اللّه قادرة أن تعمل حتى وسط هذه الدينونة الظاهرة. قوة اللّه ستنتصر حتمًا على الشر، وسيُخرج اللّه -على عكس توقعاتكم- من هذه الدينونة نعمةً، بركةً، ورجاءً. والرائع أيضًا في هذا الوعد -بحسب رايت- أن هذا الوعد ليس وعدًا فرديًا إنما هو وعدٌ لجميع الشعب. وبالرغم من طول زمان تحقق الوعد، إلا أنهم اعتبروه وعدًا لأطفالهم وأحفادهم، وبُرهانًا على أمانة اللّه في وعده مع إبراهيم في القديم؛ فكما كان في القديم، يكون الآن، وفي المُستقبل. ربما لا يتدخل اللّه حالًا في وقته، لكن اللّه دائمًا يتدخل، لأن هذه هي خطط اللّه ومستقبله الذي خططه لشعبه.

ويختتم رايت حديثه شارحًا أنه من حقنا -كالشعب في القديم- أن نمتلئ بالرجاء، ارتكانًا على ثقتنا المُسبقة في اللّه خالقنا. في زمان الميلاد، ونحن نُجهِّز جميعًا أنفسنا لهذا الحدث العظيم، حضور اللّه بيننا، وعلى رجاء مجيئه الثاني ننتظر معه سماءً جديدةً وأرضًا جديدةً، وأمام هذا الوعد الرائع من اللّه على لسان إرميا، علينا أن نسأل أنفسنا: كيف نتجاوب مع هذا الوعد؟ فوعد اللّه ليس لمجرد الفرح، لكن ليعلم شعبه أنهم يجب عليهم أن يعودوا فيطلبوا الرّبّ بشكلٍ مُختلف. هذا ما كان في القديم، وما يجب أن تفعله الكَنيسة اليوم.

في العددين الثاني عشر والثالث عشر تقول كلمة اللّه: «فَتَدْعُونَنِي وَتَذْهَبُونَ وَتُصَلُّونَ إِلَيَّ فَأَسْمَعُ لَكُمْ. وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ»؛ فالوعد في العدد الحادي عشر، مرهونٌ بالشرط في الأعداد الثاني عشر والثالث عشر. وبحسب رايت، فالكنيسة مُطالبة اليوم بالتوبة أولًا، ليكون لها -رغم كل ما تجوز به اليوم- وعد الرب بمستقبلٍ جديدٍ ورجاءٍ جديدٍ.

«الكنيسة الصحيحة، هي الكنيسة الخادمة. وما يجعلها على هذه الصورة هو أن يكون سعيها دائمًا تحت سُلطان اللّه، وفي إطار خطته لبركة العالم، وفي ثقة منها أن كل ما يُعمل يُعمل للخير مُستقبلاً. وكما حولت رسالة إرميا الشعب من كونهم ضحايا للواقع، لكونهم مُستشرفين لأملٍ ورجاءٍ جديد، بنظرةٍ جديدةٍ للواقع. كان هذا هو التحدي الذي قدمه لنا إرميا اليوم»، بهذه العبارات اختتم رايت حديثه، وأردف بالصلاة.

وفي تفاعل رائع مع كلمة الدكتور القسّ. كريس رايت، جاءت بعض الأسئلة، منها:

س: كيف نستطيع أن نُعيد ونُعَمِّق مفهُوم الكرازة والتلمذة للفرد والجماعة؟

أجاب رايت: «إنَّ واحدًا من الأسباب التي تُساعدنا هو تذكرنا لمفهوم الكرازة من حيث كونها حَملًا للخبر السار، وكذلك أن نُعيد التأكيد على الفهم الكتابيّ للخبر السار؛ فنحن حملة الخبر السار للخليقة كافة، وجزء من هذه الرواية؛ فالدافع والمُحرك للكرازة هو الرجاء والأمل في المسيح. وعلينا أن نُدرك أن الرجاء الكتابيّ ليس تفاؤلًا مُرسلًا، فنحن نعلم أن الكتاب يقول: «مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ». فرجاؤنا يثبت فقط فيما عيَّنه الله وعملهَ في تجسُّد وفداء وقيامة المسيح؛ ولأننا نعي هذا جيدًا ونثق فيه، يصبح هو قصتنا الشخصيّة، فحتمًا سنسعى فرحين لمشاركة الآخرين ما يخبئه الله لنا مُستقبلًا».

س: كيف ترى ادعاء البعض أن الأمل في هذه الجائحة إنما هو فقط ذلك المُرتبط بالعلم، كإنتاج لقاح ناجع مثلًا؟

أجاب رايت قائلًا: « أن هذا الوباء ليس هو الأول من نوعه الذي يضرب العالم، مر العالم على مدار تاريخه بالعديد من الجوائح، التي ربما كانت أشد فتكًا من هذه؛ ولأننا على صورة الله، ولنا ذكاء رفيع؛ فقد استطعنا أن نطوِّر العديد من الوسائط للتعامل مع هذه الأوبئة، وهذا بلا شك من الله. فالحديث عن فصل العلم عن الله هو حديثٌ خاطئ؛ فنحن لا نضع رجاءنا في العلم كإله، فهو ليس الله؛ إنما علم الإنسان هو جزء من عطية الله للإنسانيّة؛ فعندما سيُكتَشف اللقاح، سنشكر العلماء بالطبع، كما سنشكر الله قطعًا. لكن الرجاء والأمل الكتابي، ليس هو ذلك الأمل الوقتي في الخلاص من الوباء، لكنه الأمل الأشمل والأعم في الخلاص من الموت الأبديّ، وهو ما لا يتوفر إلا في صليب وقيامة المسيح».

س: طبقًا لإرميا، هل لو تاب العالم اليوم، ورجع إلى الله؛ فهل يرفع الله الوباء؟

أجاب رايت قائلًا: «نُقر جميعًا أن الجنس البشريّ بأكمله قد عصى الله وتمرد وأخطأ، وهذا ما يُقره حتى من هم خارج المسيحيّة، بل وحتى من هم خارج الأديان كليّةً. فمثلًا إن نظرنا بنظرة مُختلفة للمجهودات العالميّة في إطار الحفاظ على البيئة، يُمكننا أن نفهمها على أنها نوع من الاعتراف بالخطأ والتوبة، حتى وإن كانت تتم بشكل مُختلف عن فهمنا للتوبة؛ فالتوبة في فهمنا الكتابيّ هي تحويل المسار لمسار مُغاير. وأنا أعتقد أن الله في نعمته العامة المُقدمة للجميع، ليقود القادة والسياسيين لتغيير الواقع، وتحسين الأخطاء؛ لذلك فأنا أرى أنه علينا مسؤولية أن يكون لنا صوت نبوي في هذا الصدد، وأن تكون الكنيسة بمثابة ضمير المجتمع، حتى لو استلزم ذلك بعض التضحيات. وعلى الجانب الآخر يجب أن تُمارس الكنيسة التوبة عن خطاياها».

س: كيف تتجنب الكنيسة أن تكون مُعزيًا مُتعبًا، في نفس الوقت الذي تتسق فيه مع تعليمها ومبادئها؟

أجاب رايت قائلًا: «هذا السؤال يذكرني بالرب يسوع والفريسيين، إذا كان يلومهم أنهم بدلًا من أن يكونوا سبب راحة للشعب فإنهم أرهقوهم وأزعجوهم، وهكذا تفعل الكنيسة أحيانًا؛ ولذلك أنا أرى في هذا تحديًا كبيرًا للكنيسة أن تحمل تعزيّةً حقيقيةً، أن تكون معهم في آلامهم وضيقهم. ولست أجد طريقة سوى أننا يجب أن نحمل التعزية الحقيقية في الخدمة الحقيقية، كما كان المسيح يفعل».

وفي تعليق لأحد الحضور حول الآية الحادية عشر من الأصحاح التاسع والعشرين من سفر إرميا جاء فيه: «هذا هو أحبُّ وأقرب الأجزاء في كلمة الله لقلبي، وقد علقته على إحدى جدران منزلي». وفي سؤال مُرتبط بهذه الآية، حول مدى ارتباط هذه الآية بما ورد في إرميا الأصحاح الحادي والثلاثين، في الآيات التاسعة والعشرين، والثلاثين، أجاب رايت: «ما يُكرره إرميا في الأصحاح الحادي والثلاثين، هو مثل دارج، درج الشعب على استخدامه آنذاك، وهو ما كرره أيضًا حزقيال، ومغزى هذا أن ما يحدث لنا إنما هو بسبب خطية أجدادنا، في نوع من إلقاء اللوم على الآخر؛ لكن كلًا من إرميا وحزقيال قدً أكدا أن هذه ليست الطريقة الصحيحة التي يجب أن نرى بها الواقع، فالجميع بلا استثناء مُذنب».

وفي الختام، عقَّب رايت على سؤال بخصوص المُنادين بإنجيل الرخاء، قائلًا: «إنَّ المُناداة والتعليم بإنجيل الرخاء، هي واحدة من أكثر الهرطقات مُقاومةً للحق الكتابيّ، باقتطاع الآيات من سياقها وليّيها في سياق مُختلق! فتكون النتيجة أن المُتمتعين بإنجيل الرخاء هُم من يعظون به فقط!» قدم الحضور الشُّكر للدكتور القسّ كريس رايت، والدكتور القسّ أندريه زكي، كما طلب أحد الحضور الصلاة لأجل لبنان، وقدم زكي الشُّكر لرايت على هذه الوجبة الدسمة من كلمة الله.